

منتخبات روحية

للقديس سارافيم ساروف^١

هذا السلام تركه سيدنا يسوع المسيح لتلاميذه قبل موته ككنز لا يقدر بثمن عندما قال: « سلاماً أترك لكم، سلامي أعطيتكم » (يوحنا ١٤: ٢٧) وفي نفس المجال يقول الرسول: « سلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع » (فيلبي ٤: ٧).

إنَّ الانسان ان لم يهمل خيرات هذا العالم لن يحصل على السلام. ان السلام يُقتنى بالشدائد. ان الذي يريد أن يرضي الله عليه ان يَمَّ بالكثير من التجارب. ما من شيء يساهم في السلام الداخلي مثل الصمت واذا أمكن الحوار المتواصل مع النفس وقليلاً مع الآخرين.

إذن يجب علينا أن نركز أفكارنا مشتتة وأعمالنا على اقتناء سلام الله ونهتف دائماً مع الكنيسة جمعاء « أيها السيد أعطنا السلام »^(٢).

● كيفية المحافظة على سلام النفس

يجب علينا وبكل قوانا أن نجتهد في إنقاذ سلام النفس وأن لا نغضب عندما يؤذينا الآخرون. يجب الإمتناع عن كل غضب وتجنّب العقل والقلب معاً كل عمل طائش. لقد أعطانا غريغوريوس الصانع العجائب مثلاً في الإعتدال. فعندما تقدمت إليه امرأة سيئة السمعة في ساحة عامة، مطالبة إياه، وبادعاء كاذب بأجرة الزنى الذي مارسه معها، فبدل أن يغضب قال بهدوء لصاحبه: أعطها ما تطلبه. فعندما أخذت المرأة المال صرعها

● في سلام النفس

لا شيء يسمو فوق السلام في المسيح الذي بواسطته تُقهر هجمات الأرواح الجويّة والأرضية لأن « مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات » (افسس ٦: ١٢).

إنَّ الانسان الحكيم يوجه فكره إلى داخله وينزله إلى قلبه حيثئذ تنيره نعمة الله ويوجد في حالة الهدوء وما فوق الهدوء: الهدوء لأن ضميره في سلام وما فوق الهدوء لأنه في داخله يعاين نعمة الروح القدس.

أستطيع ان لا نفرح عندما نرى الشمس بأعيننا اللحمية؟ هكذا وبفرح أكبر نكون عندما يرى فكرنا وبالعين الداخلية، المسيح شمس العدل، عندها نشارك الملائكة فرحها ويقول الرسول بهذا الصدد « فان سيرتنا نحن هي في السماوات ... » (فيلبي ٣: ٢٠).

إنَّ الذي يسير في السلام يجمع، كمن معه ملعقة، هبات النعمة. ان الآباء بما أنهم كانوا في سلام وفي نعمة الرب، كانوا يعمرّون. عندما ينال انسان السلام فان باستطاعته ان يسكب على الآخرين النور الذي يضيء الفكر... ولكن عليه تذكّر كلام السيد: « يا مرائي أخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً ان تخرج القذى من عين أخيك » (متى ٧: ٥)^(٣).

● في التجارب

يجب أن نحرر أنفسنا من كل فكر غير نقي خاصة عندما نقدم صلواتنا إلى الله ، ذلك لكي لا نمرج التثانة مع الطيوب .

يجب أن نطرد فوراً الأفكار المجرّبة الرذيلة ، متبھين خاصة إلى الشراھة ، البخل والعجب . . . إذا ما تصدّينا إلى ما يھمس الشيطان لنا في آذاننا نكون قد فعلنا حسناً .

إن الشيطان لا يؤثر إلّا على المھوسين ولا يستطيع سوى الإقتراب من الخارج من الذين طھروا أنفسهم من كل ھوى .

أستطيع الإنسان وخاصة في صباه أن يتجنّب التوتر الحاصل عن التجارب الشھوانية ؟ يجب أن يصلي إلى السيد كي تنطفئ منذ البداية شرارة الرذيلة . . .

● في تمييز الأرواح

عندما ينال الإنسان في قلبه شيئاً إلهياً فھو يتهجج . ولكن عندما يكون هذا الشيء شیطانياً فيضطرب .

● في انسحاق القلب :

إنّ الذي يصبو إلى الخلاص يجب أن يكون قلبه مستعداً للإسحاق والتوبة . « فالذبيحة لله روح منسحق . القلب الخاشع المتواضع لا يرذله الله » (مزمر ٥٠ : ١٧) .

عندما يكون الفكر منسحقاً يستطيع الإنسان أن يعبر بھدوء فوق فخاخ الشيطان الذي يھدف إلى تشويش الفكر وزرع الزؤان فيه كما ورد في الكلام الإنجيلي « فجاء عبيد رب البيت وقالوا له يا سيّد أليس زرعاً جيداً

الشيطان ولكن القديس طرده منها بالصلاة . فإذا كان من غير الممكن أن لا نغتاظ ، فعلى الأقل ينبغي علينا أن نحفظ لساننا . . . لكي نحافظ على السلام يجب طرد الكآبة والمحاولة على حفظ الفكر مسروراً . عندما لا يستطيع الإنسان أن يرضي حاجاته فمن الصعب عليه أن يغلب القنوط . ولكنّ هذا يخص النفوس الضعيفة .

لكي نحافظ على السلام الداخلي ، يجب تجنّب أدانة الآخرين . يجب علينا الولوج إلى داخلنا والتساؤل : أين أنا ؟ علينا أن نتجنب ما تشبھه لنا الحواس وخاصة النظر من التلھي . لأنّ هبات النعمة لا تُعطى إلّا للذين يصلّون ويعتنون بنفوسهم .

● في حفظ القلب

يجب علينا أن نسهر على حفظ قلبنا من الأفكار والإنفعالات المخالفة للإخلاق : « صن قلبك أكثر من من كل محفوظ فإن منه مخارج الحياة » (أمثال ٤ : ٢٣) . هكذا يولد النقاء في القلب . « طوبى لإنقياء القلوب لأنّهم يعاينون الله » (متى ٥ : ٨) .

إنّ الشيء الصالح الذي يدخل إلى القلب ، يجب أن لا نبذّه بلا نفع في الخارج ، لأنّ كل ما جمعناه لا يمكن أن يكون بمنأى عن الأعداء المنظورين وغير المنظورين ، إلّا إذا حافظنا عليه مثل كتر ثمين في أعماق قلبنا .

إن القلب الذي تلهبه النار الإلهية يغلي عندما يكون مملوءاً ماءً حياً . فإذا انسكب هذا الماء إلى الخارج ، برد القلب وأصبح الإنسان كالجليد .

زرعت في حقلك فمن أين له زؤان» (متى ١٣: ٢٧). لكن الإنسان إذا ما حافظ على قلب متواضع وأفكار هادئة، فإن جميع هجمات الشيطان تبقى دون نتيجة.

إن إنسحاق القلب يبدأ بمخافة الرب. يقول القديس بونيفاتيوس. ومن هذه المخافة يولد التيقظ أم السلام الداخلي والضمير الذي يسمح للنفس أن ترى قبورها كما في ماء صافٍ نقيّ.

خلال حياتنا كلّها لا نعمل سوى الإساءة إلى عظمة الرب. فيجب علينا إذاً أن نتضع أمامه طالبين غفران خطايانا.

● سؤال

هل يستطيع إنسان سقط بعد أن كان في النعمة، أن ينهض من جديد؟

نعم. كمثل الناسك الشاب الذي ذهب إلى العين يملاً ماءً فالتقى بامرأة فسقط معها في الزنى. فعندما عاد إلى قلايته وهو عالم بسقطته تابع حياته النسكية بالرغم من مشورات الشرير الذي حاول أن يعده عن طريقه معللاً ذلك بأنه قد خطئ. لكن الله كشف هذا الأمر لمتوحد متقدم وكلفه بأن يذهب إلى ذلك الراهب الشاب ويثني عليه لاتتصاره على الشيطان.

عندما نتوب بحق عن خطايانا متوجهين من كل قلبنا نحو سيدنا يسوع المسيح، فيفرح بنا ويدعو للعيد كل النفوس الصديقة مظهراً لهم الدرهم الذي التقى بعد ضياعه.

فلا نترددن إذاً من التوجه نحو إلهنا الرحوم ولا نرتعبن في اللامبالاة واليأس. إن اليأس هو فرحة الشيطان الكبرى. إنه الخطيئة المميتة التي يتكلم عنها الكتاب (١ يوحنا ٥: ١٦).

إن إنسحاق القلب يعني أيضاً أن لا نفع مرة أخرى في نفس الخطيئة.

● في الصلاة

إن الذين قرروا حقاً خدمة الله يجب عليهم أن يتمرنوا دائماً على حفظ ذكره في داخل قلوبهم على الصلاة دوماً ليسوع المسيح مرددين داخلياً: «أيها الرب يسوع يا ابن الله ارحمني أنا الخاطيء...».

في التصرف هكذا وتتجنب التلهي مع المحافظة على الضمير في سلام نستطيع أن نقرب من الله ونتحدّ به. لأنه كما يقول القديس إسحق السرياني «ما عدا الصلاة المستمرة ليس من وسيلة أخرى أفضل للإقتراب من الله» (الموعظة ٦٩).

داخل الكنيسة إنّه لمن المستحسن أن نقف وأعيننا مغلقة لتلافي التلهي. ولكن إن شعرنا بالنعاس يجب أن نفتحها حينئذ ونوجه نظرنا صوب أيقونة أو قنديل مشتعل أمامها.

إذا ما تشنت فكرنا ونحن نصلي يجب أن نتضع أمام الله ونطلب المغفرة. لأنه كما يقول القديس مكاريوس «إن العدو لا يهدف إلا أن ينصرف فكرنا عن الله عن مخافته وعن

عندها يمتلئ القلب من الحرارة الروحية ونور
المسيح يملأ الإنسان الداخلي بالسلام والفرح .

حبه» (الموعظة ٢- ١٥).

عندما يتحد الفكر والقلب معاً في
الصلاة، وعندما لا شيء يزعج النفس

الآخر .

٣ - اثناء الخدمة الليتورجية تقول الكنيسة بصوت
الكاهن بلا ملل « السلام لجميعكم »

١ - قديس روسي كبير (١٧٥٩ - ١٨٣٣)
عاش ناسكاً في دير ساروف . حياته وتعاليمه
نقلها تلميذه Motovilov .

٢ - الخشبة هنا هي دينونة الآخر والقذى خطيئة

SERAPHIM DE SAROV

Théophanie
Desclee de Brouwer
Abbaye de Belle fontaine

يا يسوع
المسيح
ارحمني

